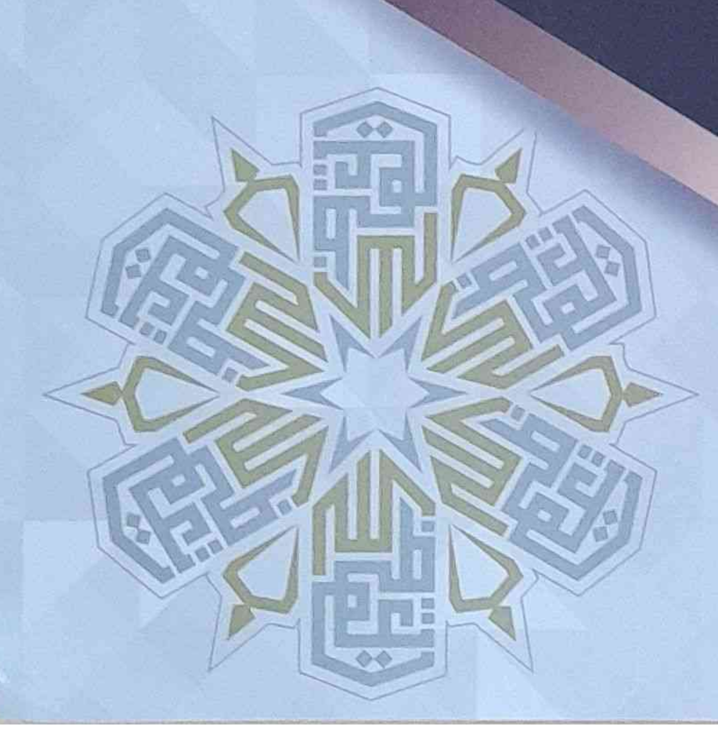
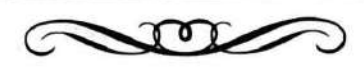
فاعلم أنه لا إله إلا الله

تأليف فضيلة الشيخ المحدث

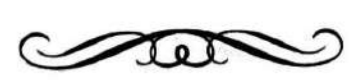
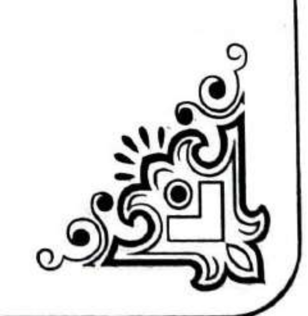
عبد الله بن عبد الرحمن السعد

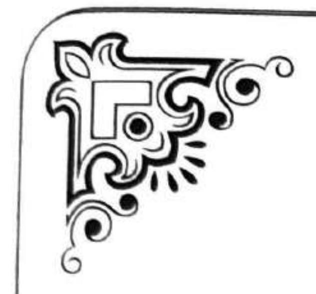
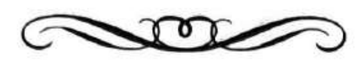


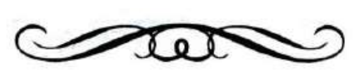

فاعلَمْ

أنَّه لا إلهَ إلَّا اللهُ


بسم الله الرحمن الرحيم




مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمَدُه ونستعينُه، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ لَه، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

أما بعدُ:

فإنَّ تعظيمَ الله ﷻ هو أُسُّ العبادة وأصلُها، وهو المقصودُ من إرسال الرُّسلِ، وإنزالِ الكتبِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨ -٩].

قال عمادُ الدِّينِ ابنُ كَثيرٍ: «يقولُ تعالى لنَبيِّه محمدٍ -صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: على الخَلقِ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي: للمؤمنينَ، ﴿وَنَذِيرًا ۝٨﴾ أي للكافِرينَ.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُ واحدٍ: يُعظِّموه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ منَ التَّوْقيرِ وهو الاحْترامُ والإجْلالُ والإعْظامُ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: يُسبِّحونَ اللهَ، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ أي: أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَه»[١].

وبقَدرِ تَعظيمِ العبدِ لربِّه ﷻ يكونُ إيمانُه ويَقينُه، قال ابنُ مَندَهْ: «والعبادُ يَتَفاضَلونَ في الإيمانِ على قَدرِ تَعْظيمِ اللهِ في القُلوبِ، والإجْلالِ له، والمُراقَبةِ للهِ في السِّرِّ والعَلانيَةِ»[٢].

---

(١) يُنظر تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٧/ ٣٢٩).

(٢) الإيمان لابن مندَهْ (١/ ٣٠٠).

قال أبو عبدِ اللهِ ابنُ القيِّمِ: «وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ.

وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ. فَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ تعالى فِي الْقَلْبِ. وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ: أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا»(١).

فلا إيمانَ ولا يَقينَ من دونِ تَعظيمٍ؛ ولذا دَعا اللهُ ﷻ عبادَه إلى ذلك، فقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١]، فهذا النَّظرُ يقودُ إلى التَّعظيمِ والاسْتِسلامِ التَّامِّ للهِ ﷻ.

قال عِمادُ الدِّينِ ابنُ كَثيرٍ: «يُرشِدُ تَعالى عبادَه إلى التَّفكُّرِ في آلائِهِ وما خلَقَ في السَّمواتِ والأرضِ منَ الآياتِ الباهِرةِ لذوي الألْبابِ، ممَّا في السَّمواتِ من كواكبَ نيِّراتٍ، ثوابِتَ وسيَّاراتٍ، والشَّمسِ والقَمرِ، واللَّيلِ والنَّهارِ، واخْتلافِهما، وإيلاجِ أحدَهِما في الآخَرِ، حتَّى يطولَ هذا، ويقصُرَ هذا، ثمَّ يقصُرَ هذا ويطولَ هذا، وارتفاعِ السَّماءِ واتِّساعِها، وحُسنِها وزينَتِها، وما أنزَلَ اللهُ منها من مَطرٍ فأحْيا به الأرضَ بعدَ مَوْتِها، وأخرَجَ فيها من أفانينِ الثِّمارِ والزُّروعِ والأزاهيرِ، وصُنوفِ النَّباتِ، وما ذرأَ فيها من دوابَّ مختلفةِ الأشْكالِ والألْوانِ والمنافِعِ، وما فيها من جبالٍ وسهولٍ وقِفارٍ وعِمرانٍ وخَرابٍ. وما في البحرِ منَ العَجائبِ والأمْواجِ، وهو معَ هذا [مُسخَّرٌ] مذلَّلٌ للسَّالِكينَ، يحمِلُ سُفُنَهم، ويَجْري بها برفقٍ بتَسخيرِ القَديرِ له، لا إلهَ إلَّا هو، ولا ربَّ سِواهُ»(٢).

وقال سُبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٦٣).

(٢) يُنظر تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٤/ ٢٩٩).

«أولَم يَنظُرْ هؤلاء المكذِّبونَ بآياتِ اللهِ في مُلكِ اللهِ العَظيمِ، وسُلطانِه القاهِرِ في السَّمواتِ والأرضِ، وما خلَقَ اللهُ -جلَّ ثناؤُه- من شيءٍ فيهما، فيَتدبَّروا ذلك، ويَعْتَبِروا به، ويَنظُروا في آجالِهِمُ الَّتي عسَى أنْ تكونَ قرُبَتْ، فيَهلِكوا على كُفرِهم، ويَصيروا إلى عذابِ اللهِ وأليمِ عِقابِه؟

فبأيِّ تَخْويفٍ وتَحْذيرٍ بعدَ تَحْذيرِ القرآنِ يُصدِّقونَ ويَعمَلونَ؟»(١).

وقال أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزيِّ في كتابِه «صيد الخاطر»:

فصلٌ: لو صَحَتِ النُّفوسُ لذابَتْ من خوفِ اللهِ أو لغابَتْ في محبَّتِه، عرَضَ لي في طريقِ الحجِّ خَوفٌ منَ العرَبِ، فسِرْنا على طريقِ خَيْبرَ، فرأيْتُ منَ الجبالِ الهائلةِ، والطُّرقِ العَجيبةِ ما أذْهَلَني، وزادَتْ عَظَمةُ الخالِقِ ﷻ في صَدْري، فصار يَعرِضُ لي عندَ ذِكرِ تلك الطُّرقِ نوعُ تَعْظيمٍ لا أجِدُه عندَ ذِكرِ غيرِها. فصِحْتُ بالنَّفسِ: وَيحَكِ! اعْبُري إلى البحرِ، وانْظُري إليه، وإلى عَجائبِه بعَينِ الفِكرِ، تُشاهدي أهْوالًا هي أعظَمُ من هذه. ثمَّ اخْرُجي إلى الكَونِ، والْتَفِتي إليه؛ فإنَّكِ تَرَيْنَه بالإضافةِ إلى السَّمواتِ والأفْلاكِ كذَرَّةٍ في فَلاةٍ، ثمَّ جُولي في الأفْلاكِ، وطُوفي حولَ العَرشِ، وتَلَمَّحي ما في الجِنانِ والنِّيرانِ. ثمَّ اخْرُجي عنِ الكُلِّ، والتَفِتي إليه؛ فإنَّكِ تُشاهِدينَ العالَمَ في قَبْضةِ القادِرِ الَّذي لا تقِفُ قُدرتُه عندَ حدٍّ.

ثمَّ التَفِتي إليكِ، فتَلَمَّحي بِدايتَكِ ونِهايتَكِ، وتَفكَّري فيما قبلَ البِدايةِ، وليس إلَّا العدمُ، وفيما بعدَ البِلى، وليس إلَّا التُّرابُ.

فكيف يأنَسُ بهذا الوُجودِ مَن نظَرَ بعَينِ فِكْرِه المبدأَ والمُنتهى؟! وكيف يغفُلُ أربابُ القُلوبِ عن ذِكرِ هذا الإلهِ العَظيمِ؟! وباللهِ لو صَحَّتِ النُّفوسُ من سُكرِ هَواها،

---

(١) يُنظر التفسير الميسَّر (١/ ١٧٤).

لذابَتْ من خَوفِه، أو لغابَتْ في حبِّه؛ غيرَ أنَّ الحِسَّ غلَبَ، فعظُمتْ قُدرةُ الخالِقِ عندَ رُؤيةِ جبَلٍ، وإنَّ الفِطْنةَ لو تلمَّحتِ المعانيَ، لدَلَّتِ القدرةُ عليه أوْفى من دليلِ الجبَلِ، سُبحانَ مَن شغَلَ أكثرَ الخَلقِ بما هُم فيه عَمَّا خُلِقوا له! سُبحانه![1].

بل لا يذهَبُ الإنْسانُ بَعيدًا، هذا خَلقُه ونفْسُه الَّتي بينَ جَنبَيْه لو تفكَّرَ في ذلك لعرَفَ عَظَمةَ الخالِقِ ﷻ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١].

قال قَتادةُ: مَن تفكَّرَ في خَلقِ نفْسِه، عرَفَ أنَّه إنَّما خُلِقَ ولُيِّنتْ مَفاصلُه للعبادةِ[2].

وإليكَ بعضَ ما يتعلَّقُ بخَلقِ الإنْسانِ ممَّا يدُلُّ على عَظَمةِ الخالِقِ ﷻ، ويَزيدُ العبدَ إيمانًا وتَسليمًا لربِّه سُبحانَه وتعالى.

قال أبو عبدِ اللهِ ابنُ القيِّمِ [3]:

فانظُرْ إلى النُّطفةِ بعينِ البَصيرةِ وهي قَطرةٌ من ماءٍ مَهينٍ ضَعيفٍ مُستَقذَرٍ، لو مرَّتْ بها ساعةٌ منَ الزَّمانِ فسَدَتْ وأنْتنَتْ، كيف استَخرَجَها ربُّ الأرْبابِ العليمُ القديرُ من بينِ الصُّلبِ والتَّرائبِ مُنقادةً لقُدرتِه، مُطيعةً لمشيئتِه، مُذلَّلةَ القيادِ على ضيقِ طُرقِها، واخْتلافِ مَجارِيها، إلى أنْ ساقَها إلى مُستقرِّها ومَجمَعِها.

وكيف جمَعَ سُبحانَه بينَ الذَّكَرِ والأُنْثى، وألْقى المحبَّةَ بينَهما، وكيف قادَهما بسِلسلةِ الشَّهوةِ والمحبَّةِ إلى الاجْتِماعِ الَّذي هو سببُ تَخْليقِ الولَدِ وتكْوينِه.

وكيف قَدَّرَ اجتماعَ ذَيْنكَ الماءينِ معَ بُعدِ كلٍّ منهما عن صاحِبِه، وساقَهما من أعْماقِ العُروقِ والأعْضاءِ، وجمَعَهما في موضِعٍ واحدٍ وجَعَلَ لهما قرارًا مَكينًا، لا يَنالُه هواءٌ يُفسِدُه، ولا بَردٌ يُجمِّدُه، ولا عارضٌ يصِلُ إليه، ولا آفةٌ تتسلَّطُ عليه، ثمَّ

---

(١) صيد الخاطر (ص: ١٦٩).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٧/ ٤١٩).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم، ط عالم الفوائد (٢/ ٥٤٠).

قَلَبَ تلك النُّطفةَ البَيضاءَ المشرِقةَ عَلَقةً حَمْراءَ تضرِبُ إلى سَوادٍ، ثمَّ جعَلَها مُضْغةَ لَحمٍ مُخالفةً للعَلَقةِ في لونِها وحَقيقتِها وشَكلِها، ثمَّ جعَلَها عِظامًا مجرَّدةً لا كِسْوةَ عليها، مُباينةً للمُضْغةِ في شَكلِها وهَيئتِها وقَدْرِها ومَلمَسِها ولَونِها.

وانظُرْ كيف قسَّمَ تلك الأجزاءَ المُتَشابِهةَ المُتَساويةَ إلى الأعْصابِ والعِظامِ والعُروقِ والأوْتارِ واليابِسِ واللَّيِّنِ وبَينَ ذلك، ثمَّ كيف ربَطَ بعضَها ببعضٍ أقْوى رِباطٍ وأشدُّه وأبعَدُه عن الانْحلالِ.

وكيف كَساها لَحمًا ركَّبَه عليها، وجعَلَه وِعاءً لها وغِشاءً وحافِظًا، وجعَلَها حاملةً له مُقيمةً له، فاللَّحمُ قائمٌ بها، وهي مَحْفوظةٌ به.

وكيف صوَّرَها فأحسَنَ صورَها، وشقَّ لها السَّمعَ والبَصرَ، والفَمَ والأنفَ، وسائرَ المنافِذِ، ومدَّ اليَدينِ والرِّجلينِ وبسَطَهما، وقسَّمَ رؤوسَهما بالأصابعِ، ثمَّ قسَّمَ الأصابعَ بالأنامِلِ، وركَّبَ الأعْضاءَ الباطنةَ منَ القلبِ والمَعدةِ والكَبِدِ والطِّحالِ والرِّئةِ والرَّحِمِ والمثانةِ والأمْعاءِ، كلُّ واحدٍ منها له قدرٌ يَخُصُّه ومَنفعةٌ تخُصُّه.

ثمَّ انظُرِ الحكمةَ البالغةَ في تَرْكيبِ العِظامِ قِوامًا للبَدنِ وعِمادًا له، وكيف قدَّرها ربُّها وخالِقُها بمَقاديرَ مُختلفةٍ وأشْكالٍ مختلفةٍ، فمنها الصَّغيرُ والكبيرُ، والطَّويلُ والقَصيرُ، والمُنْحَني والمُستَديرُ، والدَّقيقُ والعَريضُ، والمُصمَتُ والمُجَوَّفُ، وكيف ركَّب بعضَها في بعضٍ، فمنها ما تَركيبُه تركيبُ الذَّكَرِ في الأُنثى، ومنها ما تَركيبُه تركيبُ اتِّصالٍ فقط، وكيف اختلفَتْ أشْكالُها باختلافِ منافِعِها كالأضْراسِ؛ فإنَّها لمَّا كانت آلةً للطَّحنِ جُعِلَت عَريضةً، ولمَّا كانتِ الأسْنانُ آلةً للقَطعِ جُعِلتْ مُستدقَّةً مُحدَّدةً.

ولمَّا كان الإنسانُ مُحتاجًا إلى الحَركةِ بجُملةِ بدَنِه وببعضِ أعْضائِه للتَّردُّدِ في حاجَتِه لم يجعَلْ عِظامَه عَظمًا واحدًا، بل عِظامًا مُتعدِّدةً، وجعَلَ بينَها مفاصِلَ حتَّى تَتيسَّرَ بها الحَرَكةُ، وكان قَدرُ كلِّ واحدٍ منها، وشكلُه على حسَبِ الحَركةِ المطلوبةِ منه.

وكيف شدَّ أسْرَ تلك المفاصِلِ والأعْضاءِ، وربَطَ بعضَها ببعضٍ بأوْتارٍ ورِباطاتٍ أنْبَتَها من أحدِ طرَفَيِ العَظمِ، وألصَقَ العَظمَ بالطَّرفِ الآخَرِ كالرِّباطِ له، ثمَّ جعَلَ في أحدِ طرَفَيِ العَظمِ زَوائدَ خارجةً عنه، وفي الآخَرِ نُقَرًا غائصةً فيه، موافِقةً لشَكلِ تلك الزَّوائدِ؛ ليدخُلَ فيها وينطبِقَ عليها، فإذا أرادَ العبدُ أنْ يُحرِّكَ جُزءًا من بدَنِه لم يمتنِعْ عليه، ولولا المفاصِلُ لتعذَّرَ عليه ذلك.

وتأمَّلْ كيفيَّةَ خَلقِ الرَّأسِ، وكَثرةَ ما فيه منَ العِظامِ، حتَّى قيلَ: إنَّها خمسةٌ وخمسونَ عَظْمًا، مختلفةَ الأشْكالِ والمقاديرِ والمنافِعِ، وكيف ركَّبَه سبحانَه وتعالى على البدَنِ، وجعَلَه عاليًا عُلوَّ الرَّاكِبِ على مَرْكوبِه، ولمَّا كان عاليًا على البدَنِ جعَلَ فيه الحواسَّ الخمسَ، وآلاتِ الإدْراكِ كلَّها منَ السَّمعِ والبَصرِ والشَّمِّ والذَّوقِ واللَّمسِ.

وجعَلَ حاسَّةَ البَصرِ في مُقدَّمِه؛ ليكونَ كالطَّليعةِ والحرَسِ والكاشِفِ للبدَنِ، وركَّبَ كلَّ عينٍ من سَبعِ طَبَقاتٍ، لكلِّ طَبَقةٍ وَصفٌ مَخصوصٌ، ومِقدارٌ مَخصوصٌ، ومَنفعةٌ مَخصوصةٌ، لو فُقِدتْ طَبقةٌ من تلك الطَّبَقاتِ السَّبعِ أو زالتْ عن هَيئتِها ومَوضِعها لتَعطَّلَتِ العينُ عنِ الإبْصارِ، ثمَّ أركزَ سُبحانَه داخلَ تلك الطَّبقاتِ السَّبعِ خَلْقًا عَجيبًا، وهو إنْسانُ العينِ بقَدرِ العدَسةِ يُبصِرُ به ما بينَ المشرِقِ والمغرِبِ، والأرضِ والسَّماءِ، وجعَلَه منَ العَينِ بمَنزلةِ القلبِ منَ الأعْضاءِ، فهو مَلِكُها، وتلك الطَّبقاتُ والأجْفانُ والأهْدابُ خدَمٌ له، وحُجَّابٌ وحُرَّاسٌ، فتبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخالِقينَ.

فانظُرْ كيف حسَّنَ شكلَ العَينَينِ وهَيئتَها ومِقدارَهما، ثم جمَّلَهما بالأجْفانِ غِطاءً لهما وسترًا، وحِفظًا وزينةً، فهما يَتلقَّيانِ عنِ العينِ الأذى والقَذَى والغُبارَ، ويُكِنَّانِهما منَ البارِدِ المُؤْذي والحارِّ المُؤْذي، ثمَّ غرَسَ في أطْرافِ تلك الأجْفانِ الأهْدابَ جَمالًا وزينةً، ولمنافعَ أُخَرَ وراءَ الجمالِ والزِّينةِ، ثمَّ أوْدَعَهما ذلك النُّورَ الباصرَ، والضَّوءَ الباهرَ الَّذي يخرِقُ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ، ثمَّ يخرِقُ السَّماءَ مُجاوِزًا لرُؤيةِ

ما فوقَها منَ الكواكِبِ، وقد أَوْدَعَ سُبحانَه هذا السِّرَّ العجيبَ في هذا المِقْدارِ الصَّغيرِ، بحيث تنطبعُ فيه صورةُ السَّمواتِ معَ اتِّساعِ أَكْنافِها، وتَباعُدِ أَقْطارِها.

وشَقَّ له السَّمعَ وخلَقَ الأُذنَ أحسَنَ خِلقةٍ وأبلَغَها في حُصولِ المقصودِ منها، فجعَلَها مُجوَّفةً كالصَّدَفةِ لتَجمَعَ الصَّوتَ فتُؤدِّيَه إلى الصِّماخِ، وليُحِسَّ بدَبيبِ الحَيوانِ فيها فيُبادِرَ إلى إخْراجِه، وجعَلَ فيها غُضونًا وتَجاويفَ واعْوِجاجاتٍ تُمسِكُ الهواءَ والصَّوتَ الداخِلَ فتكسِرُ حِدَّتَه، ثمَّ تؤدِّيه إلى الصِّماخِ.

ومن حِكمةِ ذلك أيضًا: أنْ يُطوِّلَ به الطَّريقَ على الحَيوانِ، فلا يصِلَ إلى الصِّماخِ حتَّى يَستيقظَ أو يَنتبِهَ لإمْساكِه، وفيه أيضًا حِكَمٌ غيرُ ذلك، ثمَّ اقتضَتْ حِكمةُ الرَّبِّ الخالِقِ سُبحانَه أنْ جعَلَ ماءَ الأُذنِ مُرًّا في غايةِ المَرارةِ، فلا يُجاوِزُه الحيوانُ ولا يَقطَعُه داخِلًا إلى باطِنِ الأُذنِ، بل إذا وصَلَ إليه أعمَلَ الحيلةَ في رُجوعِه، وجعَلَ ماءَ العَينَينِ مالِحًا ليَحفَظَها؛ فإنَّها شَحْمةٌ قابلةٌ للفَسادِ، فكانت مُلوحةُ مائِها صيانةً لها وحِفظًا، وجعَلَ ماءَ الفَمِ عَذبًا حُلوًا؛ ليُدرِكَ به طُعومَ الأشْياءِ على ما هي عليه؛ إذ لو كان على غيرِ هذه الصِّفةِ لأحالَها إلى طبيعَتِه، كما أنَّ مَن عرَضَ لفمِه المرارةُ استمَرَّ طعمُ الأشْياءِ الَّتي ليستْ بمُرَّةٍ كما قيلَ:

ومَـنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَـريضٍ ... يَجِـدْ مُـرًّا بـه المـاءَ الـزُّلالا

ونصَبَ سُبحانَه قَصَبةَ الأنْفِ في الوجهِ، فأحسَنَ شَكلَه وهيئتَه ووَضعَه، وفتَحَ فيه المَنخَرَينِ، وحجَزَ بينَهما بحاجزٍ، وأَوْدَعَ فيهما حاسَّةَ الشَّمِّ الَّتي تُدرِكُ بها أنْواعُ الرَّوائحِ الطَّيِّبةِ والخَبيثةِ والنَّافعةِ والضَّارَّةِ، وليَستَنشِقَ به الهواءَ، فيوصِّلَه إلى القلبِ فيتَرَوَّحَ به، ويَتغَذَّى به، ثمَّ لم يَجعَلْ في داخِلِه منَ الاعْوجاجاتِ والغُضونِ ما جعَلَ في الأُذنِ؛ لئلَّا يُمسِكَ الرَّائحةَ فيُضعِفَها ويَقطَعَ مَجْراها، وجعَلَه سُبحانَه مَصبًّا تَنحدِرُ إليه

فَضَلاتُ الدِّماغِ، فتَجتمِعُ فيه، ثمَّ تخرُجُ منه، واقتضَتْ حِكمتُه أنْ جعَلَ أعْلاه أدَقَّ من أسْفَلِه؛ لأنَّ أسفَلَه إذا كان واسعًا اجتمَعَتْ فيه تلك الفَضَلاتُ فخرَجَتْ بسُهولةٍ، ولأنَّه يأخُذُ منَ الهواءِ مِلأَه ثمَّ يَتصاعَدُ في مَجْراه قليلًا حتَّى يصِلَ إلى القلبِ، وُصولًا لا يَضُرُّه ولا يُزعجُه، ثمَّ فصَلَ بينَ المَنخَرَينِ بحاجزٍ بينَهما حِكْمةً منه ورَحْمةً؛ فإنَّه لمَّا كان قَصَبةً ومَجرًى ساترًا لِما يَتحدَّرُ فيه من فَضَلاتِ الرَّأسِ ومَجْرى النَّفَسِ الصَّاعِدِ منه جعَلَ في وسَطِه حاجزًا؛ لئلَّا يَنسَدَّ بما يَجْري فيه فيَمنَعَ نَشْقَهُ للنَّفَسِ، بل إمَّا أنْ يعتمِدَ الفَضَلاتِ نازلةً من أحَدِ المَنفَذَينِ -في الغالِبِ- فيَبْقى الآخَرُ للتَّنفُّسِ، وإمَّا أنْ يَجريَ فيهما فيَنقسِمَ، فلا ينسَدَّ الأنفُ جُملةً، بل يَبْقى فيه مَدخَلٌ للنَّفَسِ.

وأيضًا فإنَّه لمَّا كان عُضوًا واحدًا وحاسَّةً واحدةً، ولم يكُنْ عُضوَينِ وحاسَّتَينِ كالأُذُنينِ والعَينَينِ اللَّتينِ اقتَضَتِ الحِكمةُ تَعدُّدَهما؛ فإنَّه ربَّما أُصيبتْ إحْداهما، أو عرَضَتْ لها آفةٌ تَمنَعُها من كَمالِها فتكونُ الأُخرى سالمةً، فلا تتعطَّلُ مَنفعةُ هذا الجِنسِ جُملةً، وكان وجودُ أنفَينِ في الوجهِ شَينًا ظاهرًا، فنصَبَ فيه أنفًا واحدًا، وجعَلَ فيه مَنفذَينِ حجَزَ بينَهما بحاجزٍ يَجْري مَجْرى تَعدُّدِ العَينَينِ والأُذُنينِ في المنفَعةِ، وهو واحدٌ، فتبارَكَ اللهُ ربُّ العالَمينَ وأحسَنُ الخالِقينَ.

وشقَّ سُبحانَه للعبدِ الفمَ في أحسَنِ مَوضِعٍ وأليَقِه به، وأوْدَعَ فيه منَ المنافِعِ، وآلاتِ الذَّوقِ، والكَلامِ، وآلاتِ الطَّحنِ والقَطعِ ما تُبهرُ العقولَ عَجائبُه، فأوْدَعَه اللِّسانَ الَّذي هو أحدُ آياتِه الدَّالَّةِ عليه، وجعَلَه تُرجمانًا مَلِكَ الأعْضاءِ مُبيِّنًا مؤدِّيًا عنه، كما جعَلَ الأُذنَ رَسولًا مؤدِّيًا مُبلِّغًا إليه، فهي رسولُه وبَريدُه الَّذي يؤدِّي إليه الأخْبارَ، واللِّسانُ بَريدُه ورسولُه الَّذي يؤدِّي عنه ما يُريدُ.

واقتضَتْ حِكمتُه سُبحانَه أنْ جعَلَ هذا الرَّسولَ مَصونًا مَحفوظًا مَستورًا، غيرَ

بارزٍ مَكشوفٍ كالأُذنِ والعينِ والأنفِ؛ لأنَّ تلك الأعْضاءَ لَمَّا كانت تؤدِّي منَ الخارِجِ إليه جُعِلتْ بارزةً ظاهرةً، ولَمَّا كان اللِّسانُ مؤدِّيًا منه إلى الخارِجِ جُعِلَ مَستورًا مَصونًا؛ لعدمِ الفائدةِ في إبْرازِه؛ لأنَّه لا يأخُذُ منَ الخارِجِ إلى القلبِ.

وأيضًا فإنَّه لمَّا كان أشرَفَ الأعْضاءِ بعدَ القلبِ، ومنزلتُه منه منزلةِ تُرجمانِه ووَزيرِه، ضرَبَ عليه سُرادقًا يَستُرُه ويَصونُه، وجُعِل في ذلك السُّرادقِ كالقلبِ في الصَّدرِ.

وأيضًا فإنَّه من ألطَفِ الأعْضاءِ وألْيَنِها وأشَدِّها رُطوبةً، وهو لا يتصرَّفُ إلَّا بواسطةِ الرُّطوبةِ المحيطةِ به، فلو كان بارزًا صارَ عُرضةً للحَرارةِ واليُبوسةِ والنَّشافِ المانِعِ له منَ التَّصرُّفِ، ولغيرِ ذلك منَ الحِكَمِ والفَوائدِ.

ثمَّ زَيَّنَ سُبحانَه الفمَ بما فيه منَ الأسْنانِ الَّتي هي جَمالٌ له وزينةٌ، وبها قِوامُ العبدِ وغِذاؤُه، وجعَلَ بعضَها أرْحاءً للطَّحنِ، وبعضَها آلةً للقطعِ، فأحكَمَ أُصولَها، وحدَّدَ رؤوسَها، وبيَّضَ لَونَها، ورتَّبَ صُفوفَها مُتَساويةَ الرُّؤوسِ، مُتناسِقةَ التَّرتيبِ، كأنَّها الدُّرُّ المنظومُ بياضًا وصفاءً وحُسنًا.

وأحاطَ سُبحانَه على ذلك حائطَينِ، وأوْدَعَهما منَ المنافِعِ والحِكَمِ ما أوْدَعَهما، وهما الشَّفَتانِ؛ فحسَّنَ لَوْنَهما وشَكلَهما ووَضعَهما وهَيأتَهما، وجعَلَهما غِطاءً للفمِ وطَبَقًا له، وجعَلَهما إتْمامًا لمخارِجِ حُروفِ الكلامِ ونِهايةً له، كما جعَلَ أقْصى الحَلقِ بِدايةً له، واللِّسانَ وما جاوَرَه وَسَطًا، ولهذا كان أكثَرُ العملِ فيها له؛ إذ هو الواسطةُ.

واقتضَتْ حكمتُه أنْ جعَلَ الشَّفَتينِ لحمًا صِرفًا لا عَظمَ فيه ولا عصبَ؛ ليتمكَّنَ بهما من مصِّ الشَّرابِ، ويَسهُلَ عليه فتحُهما وطَبقُهما، وخصَّ الفكَّ الأسفلَ بالتَّحريكِ؛ لأنَّ تَحريكَ الأخفِّ أحسَنُ، ولأنَّه يشتمِلُ على الأعْضاءِ الشَّريفةِ فلم يُخاطِرْ بها في الحَرَكةِ.

وخلَقَ سُبحانَه الحناجرَ مُختلفةَ الأشْكالِ في الضِّيقِ والسَّعةِ، والخُشونةِ

والمَلاسةِ، والصَّلابةِ واللِّينِ، والطُّولِ والقِصَرِ، فاختلَفَتْ بذلك الأصْواتُ أعظمَ اخْتلافٍ، ولا يكادُ يَشتبهُ صَوْتانِ إلَّا نادرًا.

ولهذا كان الصَّحيحُ قبولَ شهادةِ الأعمى لتَمْييزِه بينَ الأشْخاصِ بأصْواتِهم كما يُميِّزُ البصيرُ بينَهم بصوَرِهم، والاشْتباهُ العارضُ بينَ الأصْواتِ كالاشْتباهِ العارِضِ بينَ الصوَرِ.

وزيَّنَ سُبحانَه الرَّأسَ بالشَّعرِ، وجعَلَه لِباسًا له لاحْتياجِه إليه، وزيَّنَ الوَجهَ بما أنبَتَ فيه منَ الشُّعورِ المختلفةِ الأشْكالِ والمقاديرِ، فزينَّه بالحاجِبَينِ، وجعَلَهما وِقايةً لِما يَتحدَّرُ من بَشَرةِ الرَّأسِ إلى العَينَينِ، وقوَّسَهما، وأحسَنَ خَطَّهما، وزيَّنَ أجْفانَ العَينَينِ بالأهْدابِ، وزيَّنَ الوَجهَ أيضًا باللِّحيةِ، وجعَلَها كَمالًا ووَقارًا ومَهابةً للرَّجلِ، وزيَّنَ الشَّفَتينِ بما أنبَتَ فَوقَهما منَ الشَّاربِ وتحتَهما منَ العَنْفَقةِ.

وكذلك خَلقُه سُبحانَه لليَدَينِ اللَّتَينِ هما آلةُ العبدِ وسِلاحُه، ورأسُ مالِه ومَعاشِه، فطوَّلَهما بحيث يَصِلانِ إلى ما شاء من بدَنِه، وعرَّضَ الكفَّ ليتمكَّنَ به منَ القَبضِ والبَسطِ، وقسَّمَ فيه الأصابعَ الخَمسَ، وقسَّمَ كلَّ إصْبعٍ بثلاثِ أناملَ والإبهامَ باثنَتَينِ، ووضَعَ الأصابعَ الأربعَ في جانِبٍ والإبهامَ في جانبٍ؛ لتَدورَ الإبهامُ على الجَميعِ، فجاءت على أحسَنِ وَضعٍ صلَحَت به للقَبضِ والبَسطِ ومُباشَرةِ الأعْمالِ، ولوِ اجتمَعَ الأوَّلونَ والآخِرونَ على أنْ يَستَنبِطوا بدَقيقِ أفْكارِهم وَضعًا آخَرَ للأصابعِ سِوى ما وُضِعتْ عليه لم يَجِدوا إليه سَبيلًا.

فتبارَكَ مَن لو شاء لسَوَّاها وجعَلَها طَبَقًا واحدًا كالصَّفيحةِ، فلم يتمكَّنِ العبدُ بذلك من مصالِحِه وأنْواعِ تَصرُّفاتِه، ودَقيقِ الصَّنائعِ، والخَطِّ وغيرِ ذلك، فإن بَسَطَ أصابعَه كانت طَبَقًا يضَعُ عليه ما يُريدُ، وإنْ ضمَّها وقبَضَها كانتْ دبُّوسًا وآلةً للضَّربِ، وإنْ جعَلَها بينَ الضَّمِّ والبَسطِ كانتْ مِغرَفةً له يتناوَلُ بها، ويُمسِكُ فيها ما يَتناولُه.

وركَّبَ الأظْفارَ على رُؤوسِها زينةً لها وعِمادًا ووِقايةً، وليَلتقِطَ بها الأشْياءَ

الدَّقيقةَ التي لا يَنالُها جسمُ الأصابعِ، وجعَلَها سلاحًا لغيرِه منَ الحيوانِ والطَّيرِ، وآلةً لمعاشِه، وليَحُكَّ الإنْسانُ بها بدَنَه عندَ الحاجةِ؛ فالظُّفُرُ الَّذي هو أقلُّ الأعْضاءِ وأحقَرُها لو عَدِمَه الإنْسانُ ثمَّ ظهَرَت به حكَّةٌ لاشتَدَّتْ حاجتُه إليه، ولم يقُمْ مَقامَه شيءٌ في حكِّ بدَنِه، ثمَّ هَدى اليَدَ إلى موضِعِ الحكِّ، حتى تمتَدَّ إليه، ولو في النَّومِ والغَفلةِ من غيرِ حاجةٍ إلى طلبٍ، ولوِ اسْتَعانَ بغيرِه لم يعثُرْ على موضِعِ الحكِّ إلَّا بعدَ تعبٍ ومَشقَّةٍ!

ثم انظُر إلى الحِكمةِ البالغةِ في جَعلِ عِظامِ أسفَلِ البدَنِ غَليظةً قويَّةً؛ لأنَّها أساسٌ له، وعظامُ أعاليه دونَها في الثَّخانةِ والصَّلابةِ؛ لأنَّها مَحمولةٌ.

ثم انظُرْ كيف جعَلَ الرَّقبةَ مَركَبًا للرَّأسِ، وركَّبها من سَبْعِ خَرَزاتٍ مُجوَّفاتٍ مُستديراتٍ، ثم طبَّق بعضَها على بعضٍ، وركَّبَ كلَّ خَرَزةٍ تَركيبًا مُحكَمًا مُتقَنًا حتى صارتْ كأنَّها خَرزةٌ واحدةٌ، ثم ركَّبَ الرَّقبةَ على الظَّهر والصَّدر، ثم ركَّبَ الظَّهرَ من أعْلاه إلى مُنتهى عَظْم العَجُز من أربعٍ وعشرينَ خَرزةً مُركَّبةً بعضُها في بعضٍ هي مَجمَعُ أضْلاعِه والتي تُمسكُها أنْ تنحَلَّ وتنفَصِلَ، ثم وصَلَ تلك العظامَ بعضَها ببعضٍ، فوصَلَ عظامَ الظَّهرِ بعِظامِ الصَّدر، وعِظامَ الكَتِفَين بعظامِ العَضُدَين، والعَضُدَين بالذِّراعَين، والذِّراعَين بالكفِّ والأصابعِ.

وانظُرْ كيف كَسا العِظامَ العَريضةَ كعِظامِ الظَّهر والرَّأس كِسوةً منَ اللَّحم تُناسبُها، والعِظام الدَّقيقة كِسوةً تُناسبُها كالأصابعِ، والمتوسِّطة كذلك كعظامِ الذِّراعَين والعَضُدين، فهو مركَّبٌ على ثلاثِ مئةٍ وستِّين عَظمًا، منها مائتان وثمانيةٌ وأربعون مَفصِلًا، وباقيها صغارٌ حُشيت خلالَ المفاصِلِ، فلو زادَتْ عَظمًا واحدًا لكان مضرَّةً على الإنسان يحتاجُ إلى قَلعه، ولو نقَصَت عظمًا واحدًا كان نُقصانًا يحتاجُ إلى جَبْره. فالطَّبيبُ ينظُرُ في هذه العِظام وكيفيَّة تَركيبِها ليعرِفَ وجهَ العلاجِ في جَبرِها، والعارفُ ينظُرُ فيها

ليستَدِلَّ بها على عَظَمة باريها وخالِقِها، وحكمتِه وعلمِه ولُطفِه، وكم بينَ النَّظَرين!

ثم إنَّه سُبحانَه ربطَ تلك الأعضاءَ والأجزاءَ بالرِّباطاتِ، فشدَّ بها أسْرَها، وجَعَلَها كالأوْتادِ تُمسكُها وتَحفظُها، حتى بلَغَ عددُها إلى خَمسِ مائةٍ وتسعةٍ وعشرينَ رِباطًا، وهي مختلِفةٌ في الغِلَظ والدِّقَّة، والطُّول والقِصَر، والاسْتقامةِ والانْحناءِ، بحسَبِ اختلافِ مواضِعِها ومَحالِّها.

فجعَلَ منها أربعةً وعشرينَ رِباطًا آلةً لتحريكِ العينِ وفَتحِها وضَمِّها وإبْصارِها، لو نقصَتْ منهنَّ رِباطًا واحدًا اختلَّ أمرُ العينِ، وهكذا لكلِّ عُضوٍ منَ الأعْضاءِ رِباطاتٌ هي له كالآلاتِ التي بها يتحرَّكُ ويتصرَّفُ ويفعَلُ، كلُّ ذلك صُنعُ الربِّ الحكيمِ، وتقديرُ العزيزِ العليمِ، في قَطْرة ماءٍ مَهينٍ، فويلٌ للمُكذِّبين وبُعدًا للجاحِدينَ.

ومن عجائبِ خَلْقه أنَّه جعَلَ في الرَّأسِ ثلاثَ خَزائنَ نافذًا بعضُها إلى بعضٍ؛ خِزانةً في مقدَّمِه، وخِزانةً في وَسَطه، وخِزانةً في آخِرِه، وأوْدَعَ تلك الخَزائنَ من أسْرارِه ما أوْدَعَها منَ الذِّكر والفِكر والتَّعقُّل.

ومن عجائبِ خَلقِه ما فيه منَ الأُمورِ الباطِنةِ التي لا تُشاهَدُ؛ كالقلبِ والكَبِدِ والطِّحالِ والرِّئةِ والأمْعاءِ والمثانةِ، وسائرِ ما في باطِنِه منَ الآلاتِ العَجيبةِ، والقُوى المُتعدِّدة المختلِفة المنافِعِ..).

وقال بعضُ أهلِ الاخْتِصاصِ: إنَّ تركيبَ الإنسانِ بجوانِبه المتعدِّدةِ التَّشريحيَّةِ والفيزيولوجيَّةِ والنَّسيجيَّةِ كلُّها تجعَلُ المتأمِّلَ -حتى بشكلٍ بسيطٍ- يخشَعُ ويأخُذُه العجبُ كلُّ العجبِ لهذا التَّركيبِ الفذِّ الفريدِ. هذا في الجوانبِ الماديَّةِ عندَ الإنسانِ فقط، فما بالُكَ في الجانِبِ غيرِ المنظورِ.

ولكنَّ الدِّراساتِ والأبحاثَ في هذا المجالِ كأنَّها تتعمَّدُ إغْفالَ مُحصِّلةِ هذه الأبحاثِ، وتجعَلُه يخرُجُ بنتيجةٍ سلبيَّةٍ عمَّا رأى وعايَنَ، ومعَ هذا فإنَّ الفَلَتاتِ تَبْدو

هنا وهناك، وهي تُقِرُّ وتعترفُ -ولو رَغمًا عنها-بعَظَمةِ الإحْكامِ والبناءِ ورَوْعةِ التَّناسُقِ والعملِ... فالذي يعلَمُ أنَّ هناك ثلاثةَ عشَرَ ألفَ مليونِ خليَّةٍ عصبيَّةٍ -أي ١٣ مليارَ خليَّةٍ عصبيَّةٍ-.

والخليَّةُ بحدِّ ذاتِها بناءٌ محيِّرٌ مُدهشٌ -كما سيأتي معنا بشيءٍ منَ التَّفصيلِ-تعمَلُ بشكلٍ دقيقٍ مُحكَمٍ مُتناسِقٍ مُتعاوِنٍ لتأديةِ الأغْراضِ الحيويَّةِ والفكريَّةِ. والإنسانُ يُدهَشُ للرقمِ أوَّلًا، ثم لكيفيَّةِ عَمَلِها وتَرابُطِها وإبْداعِها!.

كلُّها أسرارٌ مُحيِّرةٌ وألغازٌ مُدهِشةٌ يكشِفُ الطِّبُّ عنِ القليلِ منها، والكثيرُ يَبقى طيَّ الكِتمانِ حتى يحينَ الوقتُ لكَشفِ شيءٍ منه.

والذي يعلَمُ أنَّ هناك (٧٥٠) مليونَ سِنْخٍ رئويٍّ لتَصفيةِ الدَّمِ، وذلك بإمرارِ غازِ الأُكسجين منَ الخارجِ إلى الدَّم الأسودِ الوارِدِ منَ البُطينِ الأيمنِ منَ القلبِ، وطَرح غازِ الفَحمِ منه يأخُذُه العجبُ كلَّ مأْخَذٍ أوَّلًا من عمل السِّنْخِ الواحِدِ؛ لأنَّ جِدارَه رقيقٌ، فهو أرقُّ من ورقةِ لِفافةِ التَّبغِ، حيث يتألَّفُ الجدارُ من طَبَقتين منَ الخلايا لا تكادُ تُرى بالعينِ المجرَّدةِ!. وهذه الملايينُ المجتمعةُ منَ الأسْناخِ تُنقِّي الدَّمَ بشكلٍ مُستمرٍّ، وتقومُ بهذا الجُهدِ، حيث تنفُخُ الرِّئتانِ حواليْ ٥٠٠ مليونِ مرَّةٍ خلالَ الحياة وسطيًّا.

والكُلْيَةُ تقومُ بتصفيةِ الدَّم من جهةٍ ثانيةٍ، وفيها واحاتٌ صغيرةٌ جدًّا لا تُرى إلَّا بالمِجهَر، حيث يتفرَّعُ الشِّريانُ الذي يُغذِّي الكُلْيَةَ إلى فروعٍ دقيقةٍ جدًّا، حتى يصِلَ إلى تفريعٍ شَعريٍّ لا يُرى إلَّا بالمِجهَرِ، يلتفُّ حولَ نفْسِه ليُشكِّلَ ما يُعرَفُ بالكَبَّةِ، وفيها يمُرُّ الدَّم ببطءٍ شديدٍ، ويتصفَّى بالرَّشحِ في الكبَّةِ قرابةُ ٢٠٠ لتر منَ الدَّمِ يوميًّا، ويعودُ ليُمتصَّ مرَّةً أُخرى بواسطةِ الأنابيبِ الكُلويَّةِ التي يمُرُّ منها قرابةُ ١٩٨ لترًا، ويُطرَحُ لترانِ فقط، وهما اللَّذان يُعرفانِ بالبَولِ الطَّبيعيِّ.

وهذه الكُبَبُ يصِلُ عددُها إلى المليونِ في الكُلْيةِ الواحدةِ، تقومُ بتَصفيةِ مئاتِ

الأَلْتارِ منَ الدَّمِ يوميًّا، وإنَّ الرَّوعةَ لتكمُنُ في العـ ـدِ، وفي بناءِ الكَبَّةِ، وفي كيفيَّةِ العمَلِ، وفي الرَّوعةِ الهائلةِ لتَخليصِ البدَنِ منَ السُّمومِ التي تدخُلُ جسمَه.. والكثيرُ الكثيرُ من أُمورِ الجسمِ العَجيبةِ.

وفي جسمِ الإنسانِ ألفُ مليونِ خليَّةٍ (١٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠)، وهذه الخلايا تُشكِّلُ مجموعَ الأجهزةِ في الإنسانِ مثلَ جَهازِ التَّنفُّسِ، وجَهازِ الهضمِ، والجَهازِ البَوليِّ، والجَهازِ التَّناسُليِّ، والجَهازِ اللِّنفاويِّ، والجَهازِ الدَّمَويِّ، والجَهازِ العَضليِّ، والجَهازِ الصِّقليِّ العَظميِّ، والجَهازِ العَصَبيِّ، والجَهازِ الجِلديِّ، والجَهازِ الضَّامِّ، بالإضافة إلى الحواسِّ كالسمعِ، والبَصرِ، والذَّوقِ، والشَّمِّ، والإحساسِ عن طريق الجِلْد، فمجموعُ هذه الأجهزةِ تتعاوَنُ لتُشكِّلَ كينونةً واحدةً هي الكائنُ الإنسانيُّ.

كما أنَّ الجَهازَ الواحدَ بالذاتِ ينقسِمُ إلى أعضاءٍ مثلِ الجَهازِ الهَضميِّ الذي ينقسِمُ إلى الفَمِ، واللِّسانِ، والحَلقِ، والبُلعومِ، والمَريءِ، والفؤادِ، والمَعدةِ، والبوابِ، والاثْنَيْ عَشريَّةَ، والأمْعاءِ الدَّقيقةِ ثم الأمعاءِ الغَليظةِ، ثم السِّينِ الحَرْقَفيِّ، ثم المستقيمِ، ثم الشَّرَجِ، وهو كما نرى يؤلِّفُ من حواليْ ١٢ -١٣ عضوًا، وهذه الأعضاءُ تتعاوَنُ تعاوُنًا وَثيقًا فيما بينَها لتؤدِّيَ دَوْرًا بالغَ الأهميَّةِ للكائنِ الإنْسانيِّ وهو التغذيةُ، ومثَلٌ آخَرُ على ذلك جَهازُ التَّنفُّسِ حيث يشترِكُ الأنفُ أو الفمُ في أوَّلِ مَجْرى التَّنفُّسِ وخاصَّةً مَجْرى الأنفِ، ثم الحَلقِ، ثم الرُّغاميِّ، ثم القَصَباتِ، ثم القُصَيْباتِ ثم الأسْناخِ الرِّئويَّةِ التي يبلُغُ عددُها ٧٥٠ مليونَ سِنخٍ رئويٍّ، وتفرِشُ سَطحًا مساحتُه سبعونَ مترًا مربَّعًا، وكلُّه للتبادُلِ الغازيِّ بنظامٍ مُحكَمٍ بديعٍ، وهو كما تَرى حواليْ ٥ -٦ قِطَعِ أعضاءٍ، وهذه الأعضاءُ تتعاوَنُ معًا تعاوُنًا وَثيقًا لتؤدِّيَ غَرضًا بالغَ الأهميَّةِ بالنسبةِ للكائنِ الإنْسانيِّ وهو عمليَّةُ التَّنفُّسِ، وتتلخَّصُ في نَقلِ الأُكسجينِ إلى الكُرَيَّةِ الحمراءِ، حيث يرتبطُ بالهيموغلوبينِ الموجودِ في الكُرَيَّةِ الحمراء، وهذه تنقُلُها بدَورِها إلى الأنسجةِ العَطْشى، حيث تقومُ

عملياتُ الأَكْسَدةِ، والاحْتراقِ، واسْتِنفاذِ الغذاءِ، ونَشرِ الطاقةِ والحرارةِ اللّازمةِ الضّروريّةِ للإنْسانِ حتى يُتابعَ مسيرةَ الحياةِ، ثم نَقْل غازِ الفحمِ الناتجِ منَ الاحتراقِ عبرَ الأوْردةِ حتى يُصبَّ مجموعُها العامُّ في القلبِ الأيمنِ؛ أي: الأُذَيْنةِ اليُمنى ثم البُطَين الأيمَن، ثم ينتقِلُ عبرَ الشِّريانِ الرِّئويِّ إلى الرئتَينِ، حيث يَجْري طرحُ غازِ الفحمِ إلى الخارجِ، حيث ينقلِبُ الدَّمُ الفاسدُ الأسوَدُ إلى دمٍ أحمرَ قانٍ يحمِلُ الأُكسجينَ بدَلًا من غازِ الفحمِ، ثم ينتقِلُ بدَورِه إلى القلبِ الأيسَرِ؛ أي: الأُذَيْنةِ اليُسرى، وبالتالي إلى البُطين الأيسَرِ، ثم عبرَ الشِّريانِ الأبْهَرِ، أو ما يُسمَّى بالوَتين إلى جميعِ أجهزةِ الجسمِ، حيث تتغذَّى بواسطة الأُكسجين والأغذيةِ المنقولة إليها.

حتى إنَّ المختصَّ "جودسون هريك" ألقى محاضرةً في معهد التاريخ بنيويورك في ديسمبر عامَ (١٩٥٧م)، أرادَ أنْ يُعطيَ تَشْبيهًا للدِّماغِ، فقال: لو أنَّنا جَمَعْنا كلَّ أجهزةِ العالَم منَ التلفون والتِّلغراف والرَّادار والتلفزيون، ثم حاوَلْنا أنْ نُصغِّرَ هذه الكَوْمةَ الهائلةَ منَ الأجهزةِ المعقَّدةِ، حتى استطَعْنا وبمجهودٍ جبَّارٍ أنْ نوصِّلَها إلى مثلِ حجمِ الدِّماغِ؛ فإنَّها لا تبلُغُ في تَعْقيدِها مثلَ الدِّماغِ. وصدَقَ؛ لأنَّ الدِّماغَ بلَغَ من التَّعقيد حدًّا يعجِزُ الدِّماغُ عن فَهمِه(١).

ولذا قال اللهُ تعالى مُنكِرًا على الكافِرينَ والمشرِكينَ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣].

وقال أبو عبدِ اللهِ ابنُ القيِّم: «وقد ذمَّ اللهُ تعالى مَن لم يُعظِّمْه حقَّ عَظَمتِه، ولا عرَفَه حقَّ معرفتِه؛ ولا وصَفَه حقَّ صِفتِه، وأقوالُهم تَدورُ على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة نوح: ١٣]، قال ابنُ عبَّاسٍ ومُجاهدٌ: لا تَرْجونَ للهِ عَظمةً، وقال سعيدُ

(١) الطب محراب الإيمان، ج١ (ص: ٩-٤٢-٩٦)، الدكتور خالص جلبي.

بنُ جُبَيرٍ: ما لكم لا تُعظِّمونَ اللهَ حقَّ عَظَمتِه؟ وقال الكَلبيُّ: لا تَخافونَ للهِ عَظَمةً.

قال البَغَويُّ: والرَّجاءُ بمعنى الخوفِ، والوقارُ: العَظَمةُ؛ اسمٌ منَ التَّوقيرِ، وهو التَّعظيمُ، وقال الحسَنُ: لا تَعرِفونَ للهِ حقًّا، ولا تَشْكرونَ له نِعمةً.

وقال ابنُ كَيْسانَ: لا تَرْجونَ في عبادةِ اللهِ أنْ يُثيبَكم على تَوْقيرِكم إيَّاه خيرًا.(١)

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

قال عمادُ الدِّينِ ابنُ كَثيرٍ: «وما قدَرَ المشرِكونَ اللهَ حقَّ قَدرِه، حينَ عَبَدوا معَه غيرَه، وهو العظيمُ الذي لا أعظَمَ منه، القادرُ على كلِّ شيءٍ، المالكُ لكلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ تحتَ قَهرِه وقُدرتِه.

وقال السُّدِّيُّ: ما عظَّموه حقَّ عَظمَتِه.

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ: «لو قَدَّروه حقَّ قَدْرِه ما كذَّبوه».

وقال عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ همُ الكفَّارُ الذين لم يؤمِنوا بقُدرةِ اللهِ تعالى عليهم، فمَن آمَنَ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فقد قدَرَ اللهَ حقَّ قَدْرِه، ومَن لم يؤمنْ بذلك؛ فلم يُقدِّرِ اللهَ حقَّ قَدرِه(٢).

وهذا التَّعظيمُ يُثمرُ في قلبِ العبدِ تحقيقَ العبوديَّةِ لرَبِّه عَزَّ وَجَلَّ، وإفرادَه بالعبادةِ، والانقيادِ لأمْرِه، والتحاكُمِ لشرعِه، وإثباتِ ما أثبَتَه لنفْسِه من أسْمائِه الحُسنى وصِفاته العُلى، وعدمِ تَسْويتِه بغيرِه، كما وقَعَ في ذلك المشرِكون الذين أخبَر اللهُ عنهم: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

قال أبو عبدِ اللهِ ابنُ القيِّمِ: «وإنَّ قَدمَ الإسلامِ لا تثبُتُ إلَّا على درجةِ التَّسليمِ،

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٦٣).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٧/ ١١٣).

وذلك يوجِبُ تعظيمَ الرَّبِّ تعالى، وأمْرَه ونَهيَه، فلا يتمُّ الإيمانُ إلَّا بتَعظيمِه، ولا يتمُّ تعظيمُه إلَّا بتَعظيمِ أمْرِه ونَهيِه، فعلى قَدرِ تَعظيمِ العبدِ للهِ سُبحانَه يكونُ تَعْظيمُه لأمْرِه ونَهيِه، وتَعظيمُ الأمرِ دَليلٌ على تَعظيمِ الآمِرِ.

وأوَّلُ مراتِبِ تعظيمِ الأمرِ التَّصديقُ به، ثم العزمُ الجازمُ على امْتثالِه، ثم المسارَعةُ إليه والمبادرةُ به رغمَ القواطِعِ والموانِعِ، ثم بذلُ الجُهدِ والنُّصحِ في الإتْيانِ به على أكمَلِ الوُجوهِ، ثم فِعلُه لكونِه مأمورًا به، بحيث يتوقفُ الإنسانُ على معرفةِ حِكمتِه، فإنْ ظهَرَتْ له فعَلَه وإلَّا عطَّلَه، فهذا من عدمِ عَظمتِه في صدرِه، بل يُسلِّمُ لأمرِ اللهِ وحِكمتِه مُمتثِلًا ما أمَرَ به، سواءٌ ظهَرَتْ له حكمتُه أو لم تظهَرْ، فإنْ ورَدَ الشَّرعُ بذِكرِ حكمةِ الأمرِ، أو فَقِهَها العقلُ كانتْ زيادةً في البصيرةِ، والداعيةَ في الامتثالِ، وإنْ لم تظهَرْ له حكمتُه لم يوهِنْ ذلك انقيادَه، ولم يقدَحْ في امتثالِه، فالمعظِّمُ لأمرِ اللهِ يُجْري الأوامرَ والنواهيَ على ما جاءتْ، لا يُعلِّلُها بعِللٍ توهِنُها، وتَخدِشُ في وجهِ حُسنِها، فضلًا عن أنْ يُعارِضَها بعِلَلٍ تَقتَضي خلافَها، فهذا حالُ وَرَثةِ إبْليسَ، والتَّسليمُ والانْقيادُ والقَبولُ حالُ وَرَثةِ الأنْبياءِ»[(١)].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطِّلة (٤/ ١٥٦١).



فصلٌ

معرفةُ الأسبابِ التي تقودُ إلى تعظيمِ اللهِ جلَّ وعَلا

والأسبابُ التي تقودُ إلى تعظيمِ اللهِ وجلَّ وعَلا راجعةٌ إلى أمرَينِ:

أوَّلُهما: تدبُّرُ آياتِه الشَّرعيَّةِ، ويدخُلُ في ذلك السُّنَّةُ النَّبويَّةُ، قال اللهُ تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقولُه: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقولُه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

فعلى العبدِ أنْ يتأمَّلَ الآياتِ التي تتحدَّثُ عن أسماءِ اللهِ ﷻ وصفاتِه، والنُّصوصَ التي تدُلُّ على عَظَمتِه وعظيمِ صُنعِه، فهو سُبحانَه يقولُ للشَّيءِ: كُنْ فيكونُ، ويتأمَّلَ كذلك الآياتِ التي تتحدَّثُ عن إحْسانِه وعظيمِ أجْرِه لمَن أطاعَه من أهْلِ الإسْلامِ والإيمانِ، والآياتِ التي تتحدَّثُ عن وَعيدِه لمَن عَصْاه منَ المشرِكينَ والكفَّارِ، وعَذابِه لهم في الدُّنيا فضلًا عنِ الآخِرةِ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ.

قال أبو عبدُ اللهِ ابنُ القيِّمِ: «والتَّفكُّرُ في القرآنِ نوعانِ:

- تَفكُّرٌ فيه ليقَعَ على مُرادِ الرَّبِّ تعالى منه.
- وتَفكُّرٌ في مَعاني ما دَعا عبادَه إلى التَّفكُّرِ فيه.

فالأوَّلُ تَفكُّرٌ في الدَّليلِ القرآنيِّ، والثَّاني تَفكُّرٌ في الدَّليلِ العِيانيِّ.

الأوَّلُ: تفكُّرٌ في آياتِه المسموعةِ، والثَّاني: تفكُّرٌ في آياتِه المشهودةِ؛ ولهذا أنزَلَ اللهُ القرآنَ ليُتَدبَّرَ ويُتفكَّرَ فيه ويُعمَلَ به، لا لمجرَّدِ تلاوتِه معَ الإعْراضِ عنه. قال الحسَنُ البَصريُّ: «أُنزِلَ القرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخذوا تِلاوتَه عمَلًا».

وإذا تأمَّلْتَ ما دَعا اللهُ سُبحانَه في كتابِه عبادَه إلى الفِكرِ فيه، أوقَعَكَ على العلمِ به سُبحانَه وتعالى، وبوَحدانيَّتِه وصفاتِ كَمالِه ونُعوتِ جَلالِه، من عمومِ قُدرتِه، وعِلمِه،

وكَمالِ حِكمتِه، ورَحمتِه، وإحسانِه، وبِرِّه، ولُطفِه، وعَدلِه، ورَضاه، وغَضبِه، وثَوابِه، وعقابِه، فبهذا تعرَّفَ إلى عبادِه، ونَدَبَهم إلى التَّفكُّرِ في آياتِه[١].

وقال أيضًا: «فليس شيءٌ أنفعَ للعبدِ في مَعاشِه ومَعادِه، وأقرَبَ إلى نَجاتِه، من تَدبُّرِ القرآنِ، وإطالةِ التأمُّلِ فيه، وجَمعِ الفِكرِ على مَعاني آياتِه؛ فإنَّها تُطلِعُ العبدَ على معالِمِ الخيرِ والشَّرِّ بحَذافيرِهما، وعلى طُرقاتِهما، وأسْبابِهما، وغاياتِهما، وثَمراتِهما، ومآلِ أهلِهما، وتُتِلُّ في يدِه مفاتيحَ كنوزِ السَّعادةِ والعلومِ النافعةِ، وتُثبِّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشيِّدُ بُنيانَه، وتوطِّدُ أركانَه، وتُريه صورةَ الدُّنيا والآخِرةِ والجنَّةِ والنَّارِ في قلبِه، وتُحضرُه بينَ الأُممِ، وتُريه أيَّامَ اللهِ فيهم، وتُبَصِّرُه مواقعَ العِبَرِ، وتُشهِدُه عدلَ اللهِ وفضلَه، وتُعرِّفُه ذاتَه وأسماءَه وصفاتِه وأفعالَه، وما يُحبُّه وما يُبغضُه، وصراطَه الموصِّلَ إليه، وما لسالِكيه بعدَ الوصولِ والقُدومِ عليه، وقواطعَ الطَّريقِ وآفاتِها، وتُعرِّفُه النَّفسَ وصفاتِها، ومُفسداتِ الأعمالِ ومُصحِّحاتِها، وتُعرِّفُه طريقَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ، وأعمالَهم وأحوالَهم وسِيماهُم، ومراتبَ أهلِ السَّعادةِ وأهلِ الشَّقاوةِ، وأقسامَ الخَلقِ واجتماعَهم فيما يجتَمِعونَ فيه، وافتراقَهم فيما يَفترقونَ فيه، وبالجملةِ تُعرِّفُه الرَّبَّ المدعوَّ إليه، وطريقَ الوصولِ إليه، وما له منَ الكَرامةِ إذا قدِمَ عليه»[٢].

ثانيهما: النَّظرُ في آياتِه الكَونيَّةِ، قال اللهُ تعالى: «﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال أيضًا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم، ط: عالم الفوائد (١/ ٥٣٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠).

لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧-٣٨].

وقال أيضًا: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ولذا كان السَّلفُ الصَّالحُ منَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ يَعُدُّونَ التَّفكُّرَ من أعظَمِ العباداتِ وأجلِّ الطَّاعاتِ.

قال هنَّادُ بنُ السَّريِّ في كتابِه «الزُّهدُ»(١): بابُ التَّفكُّرِ للهِ جلَّتْ قُدرتُه وحديثِ النَّفسِ -وذكَرَ آثارًا منها-:

حدَّثَنا أبو مُعاويةَ، عنِ الأعمشِ، عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، عن سالمِ بنِ أبي الجَعدِ، عن أُمِّ الدَّرداءِ، عن أبي الدَّرداءِ قال: «تَفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ»(٢).

حدَّثنا أبو معاويةَ، عنِ الأعمَشِ، عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، عن سالمِ بنِ أبي الجَعدِ، عن أُمِّ الدَّرداءِ، قال قيلَ لها: ما كان أفضلَ عملِ أبي الدَّرداءِ؟ قالت: «التَّفكُّرُ».

ثم على العبدِ أنْ يتفكَّرَ بنِعَمِ اللهِ ﷻ عليه وهي كثيرةٌ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

فإذا تفكَّرَ في هذه النِّعمِ؛ فإنَّ ذلك سوف يَدْعوه إلى محبَّةِ اللهِ ﷻ، وبالتَّالي يكونُ قد جمَعَ ما بينَ تَعْظيمِه لرَبِّه ﷻ، وخَوفِه منه، وما بينَ مَحبَّتِه سُبحانَه وتعالى، وبذلك سوف يَزدادُ إيمانُه ويَقْوى يقينُه، وثمرةُ ذلك استقامةُ أمرِه وصلاحُ حالِه.

لَكَ الحَمدُ وَالنَّعماءُ وَالمُلكُ رَبَّنا ... فَلا شَيءَ أَعْلى مِنكَ مَجدًا وَأَمجَدُ

---

(١) الزهد، لهناد بن السري (٢/ ٤٦٨).

(٢) وهذا إسناد صحيح.

مَليكٌ عَلى عَرشِ السَّماءِ مُهيمِنٌ … لِعِزَّتِهِ تَعْنو الوُجوهُ وَتَسجُدُ

عَلَيهِ حِجابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَولَهُ … وأَنهارُ نورٍ حولَهُ تَتَوَقَّدُ

ولا بَشَرٌ يَسْمو إِلَيهِ بِطَرفِهِ … وَدونَ حِجابِ النُّورِ خَلقٌ مُؤَيَّدُ

مَلائِكَةٌ أَقْدامُهُم تَحتَ أرضِه … وأعْناقُهم فوقَ السَّمَواتِ صُعَّدُ

فمِن حامِلٍ إحْدى قوائِمِ عَرشِهِ … بأيدٍ ولولا ذاك كَلُّوا وبلَّدوا

قيامٌ عَلى الأَقْدامِ عانينَ تَحتَهُ … فَرائِصُهُم مِن شِدَّةِ الخوفِ تُرعَدُ

فهُم عندَ ربٍّ يَنظُرونَ لأمرِه … يُصيخونَ بالأسْماعِ للوَحيِ رُكَّدُ

أَمِينَاهُ رُوحُ القُدسِ جِبريلُ منهما … وميكالُ ذو الرُّوحِ القَويُّ المسدَّدُ

ملائكةٌ لا يَفتُرونَ عبادةً … كَروبيَّةٌ منهم رُكوعٌ وسجَّدُ

فَساجِدُهُم لا يرفَعُ الدَّهرَ رَأسَهُ … يُعَظِّمُ رَبًّا فوقَهُ وَيُمَجِّدُ

وَراكِعُهُم يَحْنو لَهُ الظَّهرَ خاشِعًا … يُرَدِّدُ آلاءَ الإلَهِ وَيَحمَدُ

وَمِنهُم مُلِفٌّ في جناحَيْهِ رَأسَهُ … يَكادُ لِذِكرى رَبِّهِ يَتَفَصَّدُ

مِنَ الخَوفِ لا ذو سأمةٍ بِعِبادةٍ … وَلا هوَ مِن طولِ التَعَبُّدِ يَجهَدُ

وحُرَّاسُ أبْوابِ السَّمواتِ دونَه … قيامٌ لدَيْه بالمقاليدِ رُصَّدُ

فنِعمَ العبادُ المُصطَفَوْنَ لأمرِه … ومَن دونَهم جُندٌ كثيفٌ مُجنَّدُ

وساكنُ أقْطارٍ بأرْجاءٍ مُصعِدٌ … وذو الغَيبِ والأرْواحِ كلٌّ مُعبَّدُ

وَتحتَ كَثيفِ الماءِ في باطِنِ الثَّرى … مَلائِكَةٌ تَنحَطُّ فيهِ وَتَصعَدُ

وَبَينَ طِباقِ الأرضِ تَحتَ بُطونِها … مَلائِكَةٌ بِالأمرِ فيها تَرَدَّدُ

فَسُبحانَ مَن لا يَعرِفُ الخَلقُ قَدرَهُ ... وَمَن هوَ فوقَ العَرشِ فَردٌ مُوَحَّدُ

وَمَن لَم تُنازِعْهُ الخَلائِقُ مُلكَهُ ... وَإنْ لَم تُفَرِّدهُ العِبادُ فَمُفرَدُ

مَليكُ السَّمَواتِ الشِدادِ وَأَرضِها ... وَلَيسَ بِشَيءٍ فوقَنا يَتَأَوَّدُ

وسُبحانَ رَبِّي خالقِ النُّورِ لم يلِدْ ... ولم يكُ مَوْلودًا بذلك أشْهَدُ

وسُبحانَه من كلِّ إفكٍ وباطلٍ ... ولا والدٍ ذو العَرشِ كيف يولَدُ

هو اللهُ باري الخَلقِ وَالخَلقُ كُلُّهُم ... إماءٌ لَهُ طَوعًا جميعًا وَأعبُدُ

هو الصَّمدُ الحيُّ الذي لم يكُنْ له ... منَ الخَلقِ كُفءٌ قد يُضاهيهِ مضدَّدُ

وَأَنَّى يَكونُ الخَلقُ كَالخالِقِ الَذي ... يَدومُ وَيَبقى وَالخَليقَةُ تَنفَدُ

وَلَيسَ لِمَخلوقٍ مِنَ الدَّهرِ جِدَّةٌ ... وَمَن ذا عَلى مَرِّ الحَوادِثِ يَخلُدُ

فيَفنى وَلا يَبقى سِوى القاهِرِ الَّذي ... يُميتُ وَيُحيِي دائِما لَيسَ يُهمَدُ

تُسَبِّحُهُ الطَّيرُ الكوامِنِ في الخَفا ... وإذ هِيَ في جَوِّ السَّماءِ تُصَعِّدُ

وَمِن خَوفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعدُ فَوقَنا ... وَسَبَّحَهُ الأَشجارُ وَالوَحشُ اْبد

وَسَبَّحَهُ النِّينانُ وَالبَحرُ زاخِرًا ... وَما ضَمَّ مِن شَيءٍ وَما هُوَ مُقَلَّدُ

أَلا أَيُّها القَلبُ المُقيمُ عَلى الهَوى ... إلى أيِّ حينٍ مِنكَ هَذا التَصَدُّدُ

عَنِ الحَقِّ كَالأَعمى المُحيطِ عَنِ الهوى ... وقد جاءكَ المنجِدُ النَّبيُّ محمَّدُ

بنورٍ على نورٍ منَ الحقِّ واضحٌ ... دليلٌ على طرقِ الهُدى ليسَ يخمُدُ[1]

(١) ديوان أُمية بن أبي الصلت، تحقيق: د. جميل الجبيلي.

وقال آخر:

سُـــبحانَ ربِّـــي لا إلـــهَ سِـــواه	هتفَـتْ بهـا بعـدَ القلـوبِ شِـفاهُ
سُـــبحانَه مُتفـــرِّدٌ بجَلالِـــهِ	وكمالِـــهِ مُتفـــرِّدٌ بعُـــلاهُ
في ســورةِ الإخــلاصِ نَبـعُ جلالِـهِ	كـــمْ ظـــامِئٍ مُـــتعطِّشٍ روَّاهُ
وبآيـــةِ الكُرســـيِّ ســـرُّ كمالِـــهِ	في لفظِهَـــا وحُروفِهَـــا نلاقـــاهُ
في الكـــونِ في ذرَّاتِـــه في أرضِـــهِ	وسَـــمائِهِ في الكائنـــاتِ نَـــراهُ
يـا مَـن يُصـرِّفُ كيـفَ شـاءَ قُلوبَنَا	وإليـــهِ تَعْنـــو بالخُشـــوعِ جِبـــاهُ
اللهُ يـــا اللهُ أنـــتَ حَبيبُنَـــا	بـكَ يبلُـغُ الحـبُّ العظـيمُ مَـداهُ
اللهُ يـــا اللهُ أنـــتَ مُعينُنَـــا	ومُجيرُنـا مـن كـلِّ مـا نَخْشـاهُ
اللهُ يـــا اللهُ أنـــتَ ملاذُنَـــا	بـكَ يَسـتغيثُ المـرءُ في بَلْـواهُ
بعبـارةِ الإخْـلاصِ حـينَ نَقولُهـا	يَصْـفو لنـا رَوْضُ الهُـدى وشَـذاهُ
اللهُ نـــورٌ في السَّـــمواتِ العُلـــى	والأرضِ جـــلَّ ســـناؤُه وسَـــناهُ
المـانحُ المُعْطـي الكـريمُ إذا دَعـا	داعٍ وأخلـــصَ قَلبَـــه أعْطـــاهُ
مـا قيمـةُ الـدُّنيا ومَـن فيهـا ومـا	فيهـا ومـا احْتَفَلـوا بهـا لـولاهُ
اللهُ يَكْفـــي أنَّنـــا في بؤسِـــنا	ونَعيمِنـــا نَـــدْعوه يـــا أللهُ[١]

---

(١) للشاعر: عبد الرحمن العشماوي.

(١) بابُ قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [يونس: ٢]

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» رواه البُخاريُّ (١).

(٢) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ» رواه البخاريُّ.

٣- عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ -وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا- أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟» رواه مسلمٌ.

(٣) بابُ قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر: ٤].

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (٣١) بنفس الإسناد.

لِأَهْلِ الجَنَّةِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بَلَى**» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا» رواه البخاريُّ(١).

◆

(٤) باب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٥- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» رواه مسلمٌ(٢).

◆

(٥) باب قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النور: ٣٥].

٦- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» رواه مسلمٌ.

٧- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (٢٧٩٢) من طريق الليث به.

(٢) وأخرجه أيضًا من طريق جرير عن الأعمش به، ولفظه: (قام فينا رسول ﷺ بأربعِ كلماتٍ)، وهذا أصحُّ كما جاء في رواية شُعبة عن عمرو بن مُرَّة، وقد أخرجها مسلم أيضًا.

فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا» رواه مسلمٌ.

❀ ♦ ❀

(٦) بابُ قولِه تعالى:

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية ٣٧].

٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»** رواه مسلمٌ.

❀ ♦ ❀

(٧) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»** رواه البخاريُّ(١).

١٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»** رواه البخاريُّ(٢).

❀ ♦ ❀

(٨) بابُ قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [لقمان: ١١].

١١- عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرًّا عَنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (٢٧٥٢) من طريق حَرْمَلَةَ بْنِ يَحْيَى، عن ابْنِ وَهْبٍ، عن يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ به، وله عندهما من طرق أخرى.

(٢) وأخرجه مسلم برقم (٢٧٥١) بنفس الإسناد.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم: ٩-١٠]، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ» رواه البخاريُّ.

١٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[النجم: ١٨]، قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الأُفُقَ» رواه البخاريُّ.

١٣- عن عَبَّادٍ وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ قال: حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ» رواه مسلمٌ.

١٤- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ» رواه البخاريُّ.

١٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لا يُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ»(١).

١٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**» رواه مسلمٌ.

١٧- عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَاليَقْظَانِ -وَذَكَرَ: يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ-، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ: البُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا،... فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ:**

---

(١) وَقَدْ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَحْبُوبِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ سُفْيَانَ -وَهُوَ الثَّوْرِيُّ- بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا مِثْلَهُ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ...)، يُنظر تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠) ط. سلامة.

هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ...» رواه البخاريُّ(١).

٭ ♦ ٭

(٩) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

١٨ - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.... فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ». فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا. رواه البخاريُّ.

٭ ♦ ٭

(١٠) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٩ - عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ....، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ

(١) وأخرجه مسلم برقم (١٦٤).

عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لا أَعْلَمُهُ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا، وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ...» رواه البخاريُّ[(١)].

❖

(١١) بابُ قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٢٠- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قَالَ: «قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ»، قَالَ: أَبِي: «أَرَانَاهُ مُعَاذٌ» قَالَ: فَقَالَ لَهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، يُحَدِّثُنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَقُولُ أَنْتَ مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ» رواه أحمدُ[(٢)].

❖

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (٢٨٨٠) من طريق ابن عُيَينة به.

(٢) وأخرجه الترمذي برقم (٣٠٧٤) من طريق حماد بن سلمة، وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد برقم (١٩٤ و١٩٥ و١٩٦ و١٩٧ و١٩٨ و١٩٩ و٢٠٠)، وصححه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، وقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ لا علةَ فيه، ورواه الضياء في المختارة برقم (١٦٧٢ و١٦٧٣ و١٦٧٤ و١٦٧٥).

(١٢) بابُ قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢].

٢١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتعالى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ.**

فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعالى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعالى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا

جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ.

ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ

يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» رواه مسلمٌ[1].

❖

(١٣) بابُ قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

٢٢- عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا-.....، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ -مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ- نُعْمَانُ الشَّاكُّ- فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ. رواه مسلمٌ.

❖

---

(١) وأخرجه البخاري برقم (٤٥٨١) من طريق حفص بن مَيْسرة به، وله طرق أخرى.

(١٤) بابُ قولِه تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ...، فَقَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» رواه البخاريُّ(١).

❖

(١٥) بابُ قولِه تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

٢٤- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (٥) من طريق زهير بن حرب عن إسماعيل بن إبراهيم به.

الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، لا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» رواه البخاريُّ[(١)].

❀ ◆ ❀

(١٦) بابُ قولِه تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

٢٥- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ: فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إِلَى آخِرِ الآيَةِ. رواه أحمدُ[(٢)].

❀ ◆ ❀

(١٧) بابُ قولِه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

٢٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» رواه مسلمٌ.

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (١٠٠)، وله طرق عندهما.

(٢) وهو حديث صحيح، وذكره البخاري معلقًا مجزومًا به فقال: وقال الأعمش...)، ورواه النسائي في المجتبى والكبرى، والحاكم وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وَقَدْ رُوِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها مُخْتَصَرًا.

٢٧- قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في السُّنَّةِ:... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ فَأَمَرَهُ، فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ**»(١).

٢٨- عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**» رواه أبو داود(٢).

❖

(١٨) بابُ قولِه تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٢٩- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ،**

---

(١) **قلتُ**: إسنادُه قويٌّ ورجاله كلُّهم ثقاتٌ، وهو غريبٌ من هذا الوجه، وقد جاء من أوجه أخرى موقوفًا، وهذا لا يضُرُّ؛ لأن مثله لا يُقال من قِبَل الرأي. قال أبو علي النيسابوري الحافظ: لم يُسنده عن القاسم غير عمر بن حبيب، وهو مكيٌّ يُجمَعُ حديثه. وقال أبو نُعيم: لمْ يَرْوِهِ عَنْ سعيدٍ إلا القَاسمُ، ولا عنه إلا عُمرُ تَفَرَّد بِه رباحٌ، ورواهُ عَنِ ابْنِ عباس جماعةٌ منهم أَبُو ظَبْيَانَ، وَأَبُو إسحاقَ، وَمِقْسَمٌ، وَمُجَاهِدٌ، مِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَفَهُ، وَرَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْفُوعًا مُتَّصِلًا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَابْنُ عُمَرَ. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٨١).

(٢) **قلتُ**: أبو حفصة هو حُبَيش بن شُرَيح الحبشي، ويُقال: أبو حفص، وهو مُقِلٌّ ليس له عند أبي داود سوى هذا الحديث، ووثَّقه العِجْلي، وذكره ابن حِبَّانَ في الثقات، وقال البخاري: سمع عُبادة قوله، والذي يظهر أنه يقصِد هذا الحديث، وقال عبد الرحمن بن إبراهيم: أدرك عُبادة وحفِظ عنه، ولكن قد وقع اختلاف في إسناده، يُنظر تهذيب الكمال للمِزِّي ترجمة حُبيش بن شُريح الحبشي.

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه مسلمٌ.

❧ ♦ ☙

(١٩) بَابُ قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

٣٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[مريم: ٦٤]، رواه البخاريُّ.

٣١- عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ، -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ- مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ: قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ -فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟

قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ- فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَض، -فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ- يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ

إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ...» رواه البخاريُّ[(١)].

٣٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» رواه مسلمٌ.

(٢٠) بابُ ما جاءَ أنَّ قلوبَ العبادِ بينَ إِصبَعينِ من أصابعِ الرَّحمنِ عز وجل

٣٣- عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» رواه مسلمٌ.

---

(١) وأخرجه مسلم برقم (٢٦٤) من طريق محمد بن المثنَّى، عن ابن أبي عَدي، عن سعيد، عن قَتادة به.

٣٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «**لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ**» رواه البخاريُّ.

(٢١) بابُ مِنْ عظمتِه عَزَّ وَجَلَّ ألَّا يُتحاكمَ إلَّا لشريعتِه

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٤٨-٥١].

٣٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَا: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ - فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَارْجُمْهَا**» فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا» رواه البخاريُّ[(١)].

(٢٢) بابُ هل يجوزُ الحَلِفُ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

٣٦- عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعالى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ**

---

(١) وأخرجه البخاري أيضًا ومسلم من غير وجه عن الليث به.

لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أَوْ كَمَا قَالَ. رواه مسلمٌ.

٣٧- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ. رواه أبو داودَ(١).

❀ ♦ ❀

(٢٣) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٥].

٣٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه مسلمٌ(٢).

---

(١) إسناده جيد.

(٢) وأخرجه البخاري من طريق عنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ طَاوُسٍ به، وله عندهما من طرق أخرى.

(٢٤) بابُ ما جاءَ أنَّ اللهَ ﷻ يضَعُ المَخْلوقاتِ العَظيمةَ على أصابِعِه

٣٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ، «فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ»: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ رواه البخاريُّ[1].

(٢٥) بابُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]

٤٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**» رواه البخاريُّ[2].

٤١- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ -أَوِ القَبْضُ- يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**». رواه البخاريُّ[3].

(٢٦) بابُ ما جاءَ في اسْتِئْذانِ المَخْلوقاتِ لربِّها ﷻ، وأنَّها لا تفعلُ شَيئًا إلَّا بإذْنِه

٤٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ،**

---

(١) وأخرجه مسلم من طريق أبي عَوانة به، وله عندهما طرق أخرى.

(٢) وأخرجه مسلم برقم (٩٩٣) (٣٦) من طريق ابن عُيينة، عن أبي الزِّناد به.

(٣) وأخرجه مسلم برقم (٩٩٣) (٣٧) عن محمد بن رافع عن عبد الرَّزَّاق به.

فَتطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، ثُمَّ قَرأَ: ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا» فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ. رواه البخاريُّ.

٤٣ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[يس: ٣٨]». رواه البخاريُّ.

٤٤ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ» رواه مسلمٌ.

❀ ♦ ❀

(٢٧) بابُ قولِه تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦].

٤٥ـ عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ». رواه البخاريُّ.

٤٦ - عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ- قَالَ: «**يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَثَرُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ**». رواه مسلمٌ.

❖

(٢٨) **بابُ قولِه تعالى:** ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣-٢٤].

٤٧ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**». رواه البخاريُّ.

٤٨ - عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» ثُمَّ قَالَ: «**الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا،**

فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ» رواه مسلمٌ.

٤٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ» رواه أبو داود[1].

❖

(٢٩) بابُ قولِه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

٥٠- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ»، فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللهِ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ. رواه البخاريُّ.

❖

(٣٠) بابُ قولِه تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٩٦].

٥١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا

---

(١) قلتُ: قد جاء موقوفًا، وهي رواية الأكثر، ولكن مثله لا يُقال من جهة الرأي، والأحاديث السابقة تدل على ذلك.

فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» رواه مسلمٌ.

❖

(٣١) بابُ قولِه تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

٥٢- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» رواه الترمذيُّ(١).

❖

(٣٢) بابُ قولِه تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦].

٥٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذيُّ(٢).

❖

(٣٣) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

٥٤- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ:

---

(١) قال الترمذي: «هَذَا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ لَا نعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَأَبُو تَمِيمٍ الجَيْشَانِيُّ اسْمُهُ: عبدُ اللهِ بنُ مالِكٍ».

قلتُ: وأنا أذهَبُ إلى ما ذهب إليه أبو عيسى الترمذي.

(٢) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَا ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» رواه البخاريُّ(١).

❖

(٣٤) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١].

٥٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ**

---

(١) وأخرجه مسلم من طريق محمد بن فُضيل، وأبو معاوية، وحفص بن غياث كلُّهم عن عاصم به، وله عندهما من طرق أخرى.

أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا» رواه البخاريُّ.

---

(٣٥) بابُ قولِه تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق: ٣٥].

٥٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**» رواه البخاريُّ.

٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾** [الواقعة: ٣٠]» رواه البخاريُّ.

٥٨- عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**» رواه البخاريُّ.

---

(٣٦) بابُ ما جاءَ في تَفْويضِ الأمْرِ للهِ، وقولِه تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

٥٩- عنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ؟» فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: لَا، «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» رواه البخاريُّ.

٦٠- عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. رواه مسلمٌ.

(٣٧) بابُ قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

٦١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا

فَاغْفِرْ لَهَا، **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه مسلمٌ.

٦٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**» فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**» رواه البخاريُّ.

٦٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه مسلمٌ.

٦٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**» رواه البخاريُّ.

◆

(٣٨) بابُ قولِه تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

٦٥- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ فَرُّوخَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ**

تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: وَرُبَّمَا قَالَ: «يُمْسِي» رواه مسلمٌ.

❖

(٣٩) بابُ قولِه تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم: ٨٨ - ٨٩].

٦٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللهُ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا» رواه البخاريُّ.

❖

(٤٠) بابُ قولِه تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

٦٧- عَنْ بُسْرِ بْنِ جِحَاشٍ الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَزَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كَفِّهِ، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ وَقَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّى تُعْجِزُنِي ابْنَ آدَمَ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَذِهِ -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟» رواه ابن ماجه[١].

❖

---

(١) قلتُ: رجاله كلهم ثقات، وبُسر بن جِحاش صحابي، وقد تفرَّد بالرواية عنه جُبَير بن نُفَير، قال الإمام مسلم: لم يروِ عنه إلا جُبَير بن نُفَير. المنفردات والوُحدان (ص: ٦٥)، وقال مثله ابن السَّكَن، ولم أقفْ على تصريح بسماع جُبير بن نُفير من بُسر بن جِحاش، ولكن قال ابن مندَهْ: وَهَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ ثَابِتٌ عَلَى رَسْمِ الْجَمَاعَةِ. التوحيد (١/ ٢٣٣)، وصحَّح ابن حجر إسنادَ هذا الحديث في «الإصابة» (١/ ٤٢٣)، وصححه أيضًا البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤٣).

(٤١) باب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

٦٨- عن مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ، فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، اجْتَنِبِ الأَرْضَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» رواه البخاريُّ[1].

٦٩- عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» رواه البخاريُّ.

٧٠- عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى فِي حَقٍّ -زَعَمَتْ أَنَّهُ انْتَقَصَهُ- لَهَا إِلَى مَرْوَانَ، فَقَالَ سَعِيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا أَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا، أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا؛ فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» قَالَ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ[2]. رواه البخاريُّ.

٭ ♦ ٭

(٤٢) باب قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧].

٧١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦١٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦١٠).

فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ، فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ، وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لا، إِلَّا مِنْ طِينٍ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، -قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ- ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ» رواه البخاريُّ (١).

❖

(٤٣) بابُ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

٧٢- عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ رضي الله عنه عَنْ رَجُلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «لا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ» رواه أبو داودَ(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٠) عن زُهير بن حرب، عن يزيد بن هارون، عن جرير به.

(٢) قلتُ: هذا حديثٌ صحيحٌ، وقد اختلف على خالد الحذَّاء فرواه بعضهم بإسقاط أبي المليح، والصواب إثباتُه، وقد رواه أيضًا سليمان الأحول، عن أبي تميمة، واختلف عليه أيضًا، فمرَّةً قال: عن أبي تميمة عن رديف الرسول ﷺ، ومرةً قال: عن رجل رديف الرسول ﷺ. وهذا الشك من سليمان نفْسه، كما بيَّنَ ذلك شُعبة والثوري، والصواب عن رجُل كما دل على ذلك رواية خالد الحذَّاء، وأنه أبو المليح، وهو ثقة.

(٤٤) بابُ ما جاءَ في أنَّ البَركةَ بذِكرِ اسمِ اللهِ ﷻ

٧٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرُزِقَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ» رواه البخاريُّ (١).

(٤٥) بابُ ما جاءَ في شدَّةِ حاجةِ الخَلقِ إلى ربِّهم ﷻ، وقولِه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧].

٧٤- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وتعالى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٣٤) من طريق يَحْيَى بْنِ يَحْيَى، وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، كلاهما عن جَرِيرٍ، عَنْ مَنْصُورٍ به.

الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. رواه مسلمٌ.







فهرس المحتويات







فهرس المحتويات

وبقدرِ تعظيم العبدِ لربّه يكونُ إيمانُه ويقينُه، قال ابنُ مَندَهْ: «والعبادُ يتفاضلونَ في الإيمانِ على قدرِ تعْظيمِ اللهِ في القُلوبِ، والإجْلالِ له، والمُراقبةِ للهِ في السّرِ والعَلانيَةِ».

قال أبو عبدِ اللهِ ابنُ القيِّم: «وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ.

وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ. فَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ تَعالى فِي الْقَلْبِ. وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ: أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا».

المؤلف










جمعية الدعوة والإرشاد
وتوعية الجاليات في النسيم